

الأداءات الإحتفالية للآمازيغ الجزائريين

LAS FESTIVIDADES DE LOS AMAZIGH EN ARGELIA

AZEDDINE TERBECHÉ

Universidad de Djelfa

ملخص

تحتفل الجزائر بعدة مناسبات دينية ووطنية، ومن بين أهم هاته المناسبات إحتفالية آيراد بمنطقة بني سنوس بتلمسان، وإحتفالية سبيبا بجانت ولاية إليزي.

تمثل هاتين الإحتفالتين مناسبتين إستثنائيتين، إذ تعبران عن أصول المجتمع الجزائري الأمازيغي، فأحتفالية آيراد (النايير) تمثل رأس السنة الأمازيغية، والسبيبا تمثل رأس السنة التارقية .

الكلمات المفتاحية : الأمازيغ، الإحتفالية، آيراد، سبيبا، النايير .

Resumen

Argelia celebra una serie de fiestas religiosas y nacionales. Entre las más importantes se encuentran las celebraciones en la región de Beni Snous de Tremecén y la celebración de Sabiba en Djanet, en la Wilaya de Illizi.

Estos dos acontecimientos representan festividades excepcionales, que reflejan los orígenes de la sociedad amazigh argelina.

Palabras clave: Amazigh, Festividad, Ayrad, Sabiba, Nayer.

مقدمة

البحث في أصول الطقوس الاحتفالية للمجتمع الجزائري، حقلا متشعب نظرا للمكونات الثقافية العميقة، ولما تحتويه من اختلافات ثقافية عديدة، فهي إن لم تختلف في جوهرها تختلف في شكلها، فالبعض منها بارز والبعض الآخر مستتر. فلاحتمالية حركية ضمن رقعة جغرافية، وزمن مرتبط بالفكر والطبيعة، وداخل هذا الإطار الزمني - المكاني عالم قائم بذاته له شروطه ورموزه اللغوية والتصويرية والتاريخية.

ومما لاشك فيه أن الإنسان الجزائري الأمازيغي قديم جدا في أرضه، ووجوده ليس منقطعا عن وجود من سبقوه على محور التطور البشري، ولكي تتحقق هذه الرؤية التاريخية للأصل الجزائري، سنقوم في هذا البحث بالتطرق إلى عنصر مهم في حياة المجتمعات الإنسانية التي تمارسها كوسيلة تعبيرية، إذ يحتفل في المجتمعات البدائية بالموسيقى والغناء والرقص في مواسم دورة الحياة إلى جانب الظواهر الطبيعية، بكثير من التعابير ذات الصلة بالحياة العامة.

فالاحتفالية والاهتمام بكل مكوناتها وعناصرها باعتبارها أحد مقومات الهوية والشخصية القومية، كما أن الأهمية التي لهاته الأخيرة كظاهرة تحمل الكثير من المضامين الثقافية نظرا لقدم هذا التعبير، فهي تمتد عبر عصور، ففي بعض الأحيان كانوا يستعملوا الاحتفالية كفرجة في الستر والعلن، وأحيانا أخرى يستعملوها في طقوس التعزية والجنائز، وشتى مناحي الحياة المادية والمعنوية والدينية، للمجموعات البشرية المتواجدة في الأراضي الجزائرية.

فكل أنواع الاحتفاليات تحتوي بالفعل على عنصر المسرح، رغم أنها أفعال لمظاهر الفرجة، إذ ليس من الغريب أن نلاحظ الطقوس والترانيم الدينية ورقصات الفرح مثل رقصات المحاربين، تظهر فعل المتعة. فالرسومات التي هي مجسدة على صخور وجبال الطاسيلي والهوفار تؤكد لنا أن الإنسان الجزائري الأمازيغي كان يمارس هذه الاحتفالات في أرضه للدلالة على تواجده.

فنرى في هذه الرسومات « مناظر للرقص وللمجالس اللهو، وأنت تتمتع بروعة وجمال هذه الصور أمام متحف للآثار القديمة »¹.

يدل هذا على أن هناك في تلك الأزمنة الغابرة كانت عروض احتفالية، سواء كانت

1 محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

طقوساً أو احتفالات، فالإنسان بطبعه ميال للمحاكاة والتشخيص والمتعة والانبهار، إنها الروح الدرامية لدى الإنسان، فيتمثل ذلك الإبداع الشعبي البدائي عنده، والمقصود هنا بالبدائي ليس على أنه متخلف وإنما الأصل في بداية الاحتفال وكلمة أصل لها مفهومين « فهي من جهة تعني البداية وتشير إلى مرحلة أولية في الزمن التاريخي، كما تميل من جهة أخرى إلى الطبيعة باعتبارها أصلاً يمكننا على طول الزمان...، إن هذا المعنى المزدوج لكلمة أصل يجمع إذن فلسفة التاريخ مع فلسفة الطبيعة، فبصعودنا مع مسار التاريخ لدينا حظوظ لإيجاد إنسان مازال قريباً من الحالة الطبيعية»².

ولمعرفة الحالة الطبيعية عند أمازيغ الجزائر، والتي تعود إلى أزمنة غابرة في التاريخ يصعب تحديدها، فحسب الأمازيغ أنفسهم والباحثين تعني كلمة أمازيغ الرجل الحر النبيل، ويطلق عليهم العرب غالباً اسم البربر، فالعرب يعتقدون أن مطالب البربر بالحفاظ على لغتهم إلى جانب اللغة العربية خلافاً عنصرياً في حين أنهم كانوا يهتمون بالعربية وتطورها.

فكلمة «بربر تعني إما اللغظ والرطانة والضوضاء أو الهمجية والقسوة، ولم تكن هذه التسمية في يوم تسمية صحيحة لأي جنس من الأجناس، وإنما كانت بمثابة النبز والشتيمة، ولما حاول بوسكي GH Bousquet تفسير كلمة بربر قال إنها مشتقة من كلمة باربروس BARBARUS، وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة ليست خاضعة لسلطان الرومان، والقصد منها وصف تلك الفئات بالتخلف»³.

ينتشر الأمازيغ في شمال إفريقيا وهو موطنهم الأصلي، في المنطقة الجغرافية الممتدة من غرب مصر القديمة إلى جزر الكناري، ومن حدود البحر الأبيض المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبيرة في النيجر ومالي، ولم يعرف أي شعب سكن شمال إفريقيا قبل الأمازيغ، وكانوا دائماً في حروب مع الحضارات الوافدة إلى شمال إفريقيا، ومع حلول الفتوحات الإسلامية، ودخول العرب استعربت بعض القبائل مع تبنيها اللغة العربية، مما أثر على اللغة الأمازيغية عندها، وتولدت عندهم لهجات خليطة بين العربية والأمازيغية وبعض اللغات الأخرى.

لكن مما يلفت الانتباه رغم التغير في اللهجات وطريقة النطق هو أن العادات والتقاليد وثقافة هذه الشعوب بقيت محافظة على أصالتها، مما يوحي إلى أنه ورغم فقدان اللغة الأمازيغية، بقي عنصر الاحتفال أمازيغياً.

2 Henri Gouhier, *Antonin Artaud et l'essence du théâtre*, Librairie Philosophique J.Vrin, 1973, p. 108.

3 Jean Servier, *Les Berbères*, Collection : « Que suis-je ? », Paris, 2017, p. 8.

ومن المؤكد أن التنوع الجغرافي بين شمال الجزائر وجنوبها والتنوع اللهجي في اللغة الأمازيغية يحيل إلى تنوع التعبيرات الفنية والآداءات الاحتفالية، وإن كانت في جوهرها لغة واحدة، فهذا التنوع في الأداء بين المجموعات السكانية هو راجع إلى التكوين الجغرافي مما أدى إلى بعض التمايزات في الاحتفال رغم أنه يبقى الحفاظ على الأسس المشتركة للشعب الأمازيغي، ولمعرفة هذه التمايزات في الاحتفال قمنا باختيار منطقتان مختلفتان، الأولى تمثل سكان الشمال هي منطقة « بني سنوس » الواقعة بولاية تلمسان غرب الجزائر، والثانية « جانت » الواقعة بولاية إليزي أقصى جنوب الصحراء، ولهذا يعد هذا الموضوع مجالا واسعا للبحث، لما فيه من تحليل ومقارنة، وهذا جعلنا نختصر التساؤل على النحو التالي: إلى أي مدى ساهمت الاحتفالات في الحفاظ على الأصل الأمازيغي في الجزائر.

1. مفهوم الإحتفالية:

إن الاحتفال يجمع بين الزمان والمكان والفضاء، حيث يعتبر أول شكل تعبيرى، فهو مرتبط بظهور الحياة على وجه الأرض، فهذا التعبير في الحياة نجده دائما مرتبط بالحصاد والرقص والغناء والصيد والتخصيب، فهو المصدر الأساسي الذي تولدت عنه كل الفنون، وحتى يكتمل هذا الاحتفال لابد أن يكون الاشتراك لجميع الأفراد الذين يعيشون في المجتمع الاحتفالي نظرا لأهمية الجمهور، وحتى يكون طاقة لتقويم كل شيء والحكم عليه، فمن هنا تتحول الاحتفالية من مجرد كم إلى طاقة فاعلة تعطي القيمة والشرعية للأشياء.

يمكن القول أن هذه التجربة شكلت اتصالا نموذجيا مع الجمهور « فهي النوعية الحقيقية التي نعثر عليها في الاحتفالات الإنسانية، حيث كلما كانت الأحداث فطعية ازداد يقينا بأنها الحقيقة، وكلما عرفنا أنها حقيقة، رأينا بأنه لا مفر منها، هذا بالإضافة إلى ابتعاد رد الفعل الذي نمتلكه نحن بين صفوف الجمهور عن المشاركة الوجدانية في احتفالنا الطبيعي بالشيء»⁴، وحسب بروك فإن الجمهور هو المكون الأساسي لاكتمال احتفالية العرض، فالاحتفال هنا هو تعبير أساسي يؤسس لبلورة العلاقة التراثية الإنسانية والعاطفة الشفافة بين مكونات الحياة، وبالنسبة لبروك فإن الحياة هي مسرح، فإن هذه العلاقة لابد وأن تتكيف وتطلق بعفوية في المسرح، لأن

4 بيتر بروك: خيوط الزمن – سيرة شخصية – ترجمة وتقديم فاروق عبدالقادر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 47.

الاحتفال « في جوهره هو التعبير الحر والتلقائي عن الحياة وهي في حالة الفعل والحركة لا في حالة الثبات والسكون...، والاحتفال لا يُحيي زمنا كان ثم مضى، كما انه لا يحكي عن زمن كان أو يكون، ولكنه يخلق زمنا جديدا⁵. فهو يجعل الماضي (التراث) والمستقبل جزءا من الحاضر، يمنح مسافة بعيدة عما يلف الإنسان، ويُلغي المسافة القائمة بينه وبين ما هو بعيد.

الاحتفالية هي رؤية للطبيعة المحيطة به ومواقف مرت على مجموعات بشرية أو مجتمعات، « فهو -الاحتفال- أول شكل من أشكال التعبير الإنساني، إنه مرتبط بظهور الحياة على وجه الأرض⁶»، وأيضا هي رؤية للذات والآخر، إذ تكون الحرية هي أساسها، فالاحتفالية هي تعبير الإنسان الحر في المجتمع الحر.

إن أساس الاحتفالية المشاركة، لقاء بين المتفرج والمتفرج عليه، والاحتفال أصل الاحتفالية، إلا أن الإنسان يُعتبر الأصل في الاحتفال، والإنسان كائن اجتماعي وتاريخي وجغرافي، والزمن في الاحتفال هو النسيج بين هذه المتغيرات، بالإضافة إلى العلاقات الاجتماعية والأفكار والمفاهيم.

2. إحتفالية آيراد :



الأقنعة المستخدمة في احتفالية آيراد

5 البيان الأول : جماعة المسرح الاحتفالي، مجلة البيان الكويتية، العدد 63، 1979، ص 41.

6 البيان الأول حول مبادئ المسرح الاحتفالي، تطوان، مارس 1977.

تحتفل الجزائر بأربع مواعيد لإحياء أربع غرر لسنوات جديدة، فالأول يتم للسنة الميلادية الذي يوافق 01 جانفي (التقويم الغريغوري)، ثم الاحتفال بالسنة الهجرية في أول محرم (التقويم الهجري)، والاحتفال الثالث السنة البربرية في 12 جانفي (التقويم البربري) وغرة السنة الترقية وشهرها الأول سببها الذي يوافق عاشوراء (التقويم الترقوي). إن ظاهرة الاحتفال برأس السنة الأمازيغية متجذرة في أعمال المجتمع الجزائري، وتسمى هذه الاحتفالية بالناير إذ «بدأ الاحتفال بالناير حسب آدموندستان في العصور الوثنية بعد اختلاط البرابرة بالفينيقيين في العهد القرطاجي، وكانت ديناتهم وثنية، ثم انقلبوا في العصر الروماني إلى الديانة النصرانية، ودخلوا الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية، لكن رغم ذلك علفت في ذاكرتهم عادات ألفوا معاقرتها لأنها ارتبطت بموروثهم التاريخي كاحتفال بحلول السنة البربرية الجديدة»⁷.

إلا أن الاحتفال بالناير عند بني سنوس يكتسي حلة أخرى نظرا لما يمثله هذا التاريخ، فهو مناسبة للم شمل وإيجاد نوع من التواصل بين أفراد المجتمع والعائلة، كما هو مرتبط بالتحويلات والتغيرات التي عرفها المجتمع في تطوره عبر التاريخ. يعود الاحتفال برأس السنة الأمازيغية إلى يوم انتصار الملك ششانق على الملك رمسيس III من أسرة الفراعنة عام 950م، عندما عزم الملك رمسيس على احتلال شمال إفريقيا، وحسب الاعتقاد أن المعركة دارت رحاها في منطقة (بني سنوس) قرب مدينة تلمسان في الغرب الجزائري حيث يقام سنويا أيراد، وتعني كلمة «أيراد» أسد واسم الأسد مقارنة قوة ملكهم ششانق وسلطانه بسلطان الغابة الأسد.

إلى جانب هذا فإن أيراد ارتبط أيضا بالمواسم الفلاحية وخصوبة الأرض «فبداية السنة الأمازيغية التي تسمى تابورث أسقاس، أي باب السنة ويسمى اليوم الأول من السنة الأمازيغية بالناير، حيث يتزامن مع تعاقب الفصول ومختلف أطوار الحياة عند النباتات، التي تحدد اوقات القيام بالأعمال الزراعية والفلاحية وكذلك موقع النجوم»⁸. قبيلة بني سنوس ذات الأصل البربري استقبلت الإسلام كباقي المناطق الجزائرية بصدر رحب، إلا إن اندماجهم مع باقي العرب كان بعد شد وجذب، فالمعروف عنهم لا يندمجون بسرعة مع الشعوب الأخرى، «وأهل بني سنوس ذوي أصل بربري مرتبطين بالأرض وهم متواجدين منذ القدم، ويقبلون بصعوبة أن يندمج الغرباء بينهم، حيث

7 Edmond Destaing : « L'Ennayer chez les Beni Snous », *Revue Africaine*, t. 49 1^{er} trimestre, 1905, p. 70.

8 مروان فاتح قاديري : اللهجة الأمازيغية في بلاد السنوسيين، منشورات المحافظة السامية للأمازيغ،

انتسبوا إلى قبيلة زناتة بصعوبة، وكان العرب يشيرون إليهم بالقبائل KABAYL لتمييزهم عنهم، وللدلالة على أصلهم، وفي حوالي 587هـ الموافق 1142 استقبل أهل بني سنوس دعوة الموحدين الذين أصبحوا تحت تأثير المهدي بن تومرت⁹.

إن الاحتفال برأس السنة الأمازيغية عند بني سنوس هو الاحتفال بالناير، وهذا الاحتفال لا يكون صحيحا إلا إذا تجسد احتفال آيراد، هذه الظاهرة الآيرادية كنمط احتفالي شعبي تعتمد على الحركة المرسومة، في العمل الأدائي، فهي مادة ثرية المعطيات المتعلقة بالعادات والتقاليد والثقافة والتاريخ وعلاقتهم بالطبيعة.

ظاهرة آيراد الاحتفالية لا يمكن أن تكون قد ظهرت مرة واحدة، وإنما هي بالضرورة نتاج مراحل سابقة حتى وصلت إلى هذه الصورة، فعن طريق إحياء الناير الذي هو بدوره يحتضن الاحتفال يكون المجتمع مع تحضيرات هذه الأيام سواء من ناحية الإعداد للمأكولات الشعبية والتي هي عنصر أساسي في الاحتفال، أو تهيئة الشاب للاحتفال بمسرحية آيراد «فالناير يحتضن احتفالية آيراد، ويستقبل بالجديد والحلو والطيب والعناصر الزوجية»¹⁰، والعدد الزوجي هنا يدل على الخصوبة مع استحضار أو حضور كل العناصر الغائبة.

في حقيقة الأمر يتعامل الأداء الاحتفالي مع الواقع معتمدا في ذلك على المفهوم العام الشامل لعناصر الاحتفال مما يؤدي به إلى عملية استحضار الماضي والغائب مجسدا بذلك الشخص المعنوي والأشياء المادية، من أجل إعطاء الصورة الواقعية في كل أبعادها ومستوياتها، فهو بذلك لا يعتمد على حدث واحد وإنما مجموعة أحداث عايشتها المجموعة السكانية.

لهذا الاحتفال رمزية كبيرة ومهمة عند بني سنوس، إذ توليها أهمية بالغة إلى حد تهميش من لا يحتفل بهذه الشعيرة التقليدية، إذ يعد الاحتفال أحد مقومات بني سنوس، تعيش المنطقة تحضيرات حثيثة خلال هذه الأيام تحسبا لاستقبال هذا الاحتفال الكبير، حيث يتقمصون أدوار الأسد والحيوانات بارتدائهم الأقنعة وصور الحيوانات المفترسة ولا يتم الكشف عن وجوههم طيلة الاحتفال مع تأدية أغاني شعبية وشعارات موروثية عن الأجداد.

9 Jean Canal : « Monographie de l'arrondissement de Tlemcen », 2^{ème} partie, *Bulletin de la Société de géographie de la province d'Oran*, XII, 1891, pp. 389-390.

10 Benhadj Serradj, Mohamed, « Les fêtes d'Ennayer au Béni Snous », *Revue de l'institut des belles-lettres arabes*, 13, Institut des belles-lettres arabes (IBLA), Tunis, 1951, p. 35.

يدوم آيراد لمدة اثنا عشرة يوما و كل يوم يخصص لعمل إذ توزع على النحو التالي :

- الأيام الثلاثة الأولى من 01 إلى 03 يناير و تعرف بالأيام التحفيزية .
- يوم 04 يناير: يوم العرضة (الدعوة) .
- يوم 05، 06 يناير: يتم فيها ترتيب اللقاء الكبير .
- يوم 07 يناير: يدعى يوم التبخيرة .
- يوم 08 يناير: يسمى آيرادات السوق .
- يوم 09 يناير: يتمثل في طقوس الخصب بالحناء .
- يوم 10 يناير: يجسد الآيرادات الصغرى .
- يوم 11 يناير: يعرف بعينوز آيراد
- يوم 12 يناير: آيراد ثامغرا أي آيراد اليوم الكبير¹¹ .

من المميز في احتفال آيراد أن كل يوم وله خصائصه وما يجب أن يحدث فيه هذا نظرا لأهمية الاحتفال به عند المجتمع السنوسي، ويتميز هذا الكرنفال بارتداء مختلف أنواع الأقنعة و التخفي بها . نظرا لعلاقتها بعادة التلطّيح الوجه باللون الأسود في طقوس السحر البدائية، فللقناع أهمية بالغة في الاحتفال إلى جانب جلود الحيوانات التي يرتديها الممثلون فمع مرور الزمن فقد القناع طابعه الأصلي، وصار أداة تنكّرية في الأشكال التعبيرية، وبذلك تحول دوره إلى نوع من المحاكاة التهكمية، واستعمله البعض في إخفاء الشخصية .

القناع وملابس الحيوانات إلى جانب الرقص والموسيقى، هكذا تتمثل احتفالية آيراد بتجسيد مواضيع الملك ومحاولة تمثيلها على الواقع، واستحضار الشخصيات اللازمة لذلك .

إن الإبداع الفني الآيرادي تتجسد فيه عناصر التمثيل، فهو يعيش بنية الحياة الاجتماعية السنوسية إذ لا يمكن أن نتصور حياة بدونه داخل المجتمع لأنه جزء من مكوناتها الثقافية، انعكاس لعاداتها و تقاليدها .

11 عبد الكريم بي عيسى : مسرح آيراد الاحتفالية آليات الحركة المرسومة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الثقافة الشعبية، تلمسان، 2009/2008، ص 67 .

3. إحتفالية السيبيا :



عزف النساء للموسيقى في السيبيا



رقص الرجال في السيبيا

التاسيلي هذه المنطقة التي تزرخ بالحوية وحب الحياة، هذا ما يشير إلى أن الإنسان الأمازيغي يعتمد على الفن للتعبير عن مشاعره، وهذه سمة من السمات البارزة عند سكان التاسيلي بصفة خاصة، والطوارق بصفة عامة.

عند حديثنا عن الطاسيلي ننساق إلى مدينة جانت وما تحبته من كنوز ثقافية والاحتفالات التي ترافق الرقص والغناء، ولعل أهم احتفال في هذه المنطقة هو احتفال السببيا، والسببيا كما يقول يوسف أوقاسم: «هو الكنز الموروث والهبة المهداة من آباء الجانتين القدامى، وبطاقة تعريف مدينة جانت التي احتوتهم منذ آلاف السنين منذ أن أصبح - كيل جانت- إذ يصعب تفسير الكلمة»¹².

إلا أن كلمة سببيا لقيت معلم تاريخي وموعد ديني واسما لشهر من أشهر السنة التارقية، في هذا اليوم يجتمع القصران، قصر زلواز و الميزان في ساحة المواجهة، وهي ساحة الاحتفال، ومن خلال هذا الاحتفال يتنفسون به كفن، وفيه كزمن على طريقته الموروثة.

الاحتفال بالسببيا هي أسطورة احتفالية انطلقت منذ غرق الفرعون رمسيس الثاني خلال 1227 ق م، إذ لازال المجتمع الجانتي يحتفل بها إلى غاية اليوم محاولا الاحتفاظ بطبيعة الاحتفال على أصوله وطبيعته مستخدمين بذلك كل الآلات التقليدية سواء كانت موسيقية مثل (قانقا، قنقا مخالف) أو ألبسة، والأشعار المغناة تمتاز بأنها تنافسية بين الحيين، حي زلواز و الميزان فمن مميزاتها أيضا الوقوف.

إذ كانت المرأة هي التي تدق الطبول وتغني، فإن الرجل يكون داخل ساحة المعركة ليقدم رقصاته لأن الرقص في الاحتفال دلالة على الحرب إلى جانب مجابهته للطبيعة، «ويعتبر الرقص من أقدم الفنون إلى جانب الموسيقى، وقد حاول العالم النفسي « جالين ولسون » إلقاء الضوء على عدد من النشاطات والعمليات السيكلوجية والاجتماعية المرتبطة بفنون الأداء، كالخيال والطقوس، والأساطير والغرائز، واعتبر فنون الأداء كالرقص والموسيقى والغناء وغيره جوانب مهمة وشديدة الحيوية من الخبرة والتفاعل»¹³. فحضور المرأة المتميز كمغنية وعازفة يصنع الحركة المتقنة والمعبرة عن حدث ما، أي أنها تصنع الرقص ولا تؤديه من خلال عزفها أو ضربها أو الأغاني التي تؤديها، «فإذا كان الرجل الأزرق سيدا في الحروب و المعارك وما يمت للجهد العضلي بصلة، فإن المرأة سيدة على مستوى العلاقات الاجتماعية وما يتبعها من حرص على توفير

12 يوسف أوقاسم: باحث ورئيس جمعية السببيا سابقا.

13 جالين ولسون، سيكلوجية فنون الأداء، مطابع الوطن، الكويت، 2000، ص 68.

الجو الأنسب للأفراد، فبالإضافة إلى كونها زاحمت الرجل في مجال الشعر والكلمة وأبدعت في ذلك فهي سيدة الآلة الموسيقية»¹⁴.

عند ذكر الآلات الموسيقية عند التوارق فإننا نشير للمرأة، ويبقى دور الرجل ثانوياً بالنسبة للعزف أو الغناء وفي أغلب الحالات هو منعدم تماماً، لأن الرقص يكون فيه هو البطل.

وعن احتفالية السببيا كما ذكرنا سالفاً فهي احتفال بموت فرعون ونجاة سيدنا موسى، ولأن المواجهة حدثت بين النبي وأتباعه وبين عدوهم فرعون فلهذا تحيي الاحتفالية بإقامة احتفالية حربية، هي عبارة عن حروب فنية تؤدي عن طريق رقصات تعيد تمثيل ذلك اليوم الغابر، فهي تقليد لتلك المواجهات بين النبي وغريمه بالكلمات والقصائد والرقص والغناء.

والسببيا تعلن عن بدء سنة جديدة أي أنها تعبير يدل على الحضارة والحياة والخصوبة لسكان جانت منذ العصور القديمة، إذ يتم التحضير لهذا الاحتفال بكل دقة لأنه لا يسمح بارتكاب الأخطاء، والمميز فيه أن التحضير يبدأ منذ إعلان شهر محرم، إذ تنطلق ترويض الأجساد والحناجر وهو ما يطلق عليه اسم (آرواض) حيث يتم تفقد كل الكنوز والحلي والملابس لهذه التظاهرة مع تنظيم القصائد واستدكارها. أما عن التحضيرات وتسمى «تيمولوين» فتقسم إلى تمارين عفوية، وتمرين تمارين صغرى وكبرى أو التي قيل عنها مشتركة، ففيها ينتقل الراقصون إلى تحضيرات الحي الآخر لتحسس الخطر أو تفقد الحماس أو من أجل الانسجام مع إيقاع الحي المنافس ومن خلال ملاحظتنا فأيام تحضيرات احتفالية آيراد تشبه إلى حد كبير تحضيرات السببيا والتي تدوم 10 أيام وتكون على النحو التالي:

– الليلة الأولى والثانية: تكون فيها التحضيرات عفوية، فبمجرد ملاحظة شهر عاشوراء (محرم) تقوم إحدى النسوة في القصرين بضرب آلة القنقا، وذلك إعلان عن بداية الاحتفالية وظهور الهلال.

– الليلة الثالثة: يسمع ضرب آلة القنقا من طرف أكثر من امرأة واحدة.

– الليلة الرابعة: يسمع ضرب آلة القنقا في منازل عديدة.

– الليلة الخامسة: النزول للساحة (تدشين الساحة) يكون الرقص جماعي وبدون قيود أو توجيه.

14 رمضان حينوني: الكلمة والنغم والحرية وسيادة المرأة الترقية، مجلة جوليا التراث، جامعة مستغانم، العدد 11، 2011، ص 102.

- الليلة السادسة: تدخل الراقصين والمغنيات كإعلان لبوادر التنظيم.
- الليلة السابعة: التحضيرات الصغرى (تاندرت الميزان) الاحتفالية الصغرى عند أهل الميزان.
- الليلة الثامنة: تاندرت زلواز الاحتفالية الصغرى عند أهل زلواز.
- الليلة التاسعة: تاموبلت أمقرت: الرقصة الكبيرة تؤدي في القصرين.
- الليلة العاشرة: راحة، استعدادا للنهوض باكراً واستقبال صبيحة الاحتفال الأكبر (السببيا)¹⁵.

الملاحظ في الليلتين السابعة والثامنة أي أن عند احتفال أهل الميزان بالتحضيرات الصغرى تكون مشاركة أهل زلواز لهم، حتى يتمكنوا من ملاحظة التحضيرات التي وصل إليها أهل القصر، والتعود على إيقاع الرقص عند أهل الميزان. أما الليلة الثامنة وهي التحضيرات الصغرى عند قصر زلواز والملاحظ أيضاً مشاركة أهل الميزان لهذه الاحتفالية وهو نفس الشيء بالنسبة لهم التعود على إيقاع أهل زلواز، لأن الإيقاع عند الميزان ثقيل وعند زلواز خفيف. فالاستعداد ضروري جداً ولازم لكلا القصرين لأن في آخر الاحتفالية ستكون هناك نتيجة من هو الفائز في هذه المسابقة. والأهم من هذا ليست النتيجة وإنما المحافظة على أصالة وتجدر المجتمع الأمازيغي في التاريخ عن طريق هذه الاحتفاليات.

خاتمة

تمارس المجتمعات الإنسانية الموروثات الاحتفالية كوسيلة تعبيرية في المجتمعات البدائية بالموسيقى والغناء والرقص في مواسم المطر والحصاد، والظواهر الطبيعية، وبكثير من التعبيرات ذات الصلة بالحياة العامة، ويشكل هذا الموروث الاحتفالي ثقافة اجتماعية لا بد من الاستفادة منها.

من خلال ملاحظتنا لاحتفال السببيا وآيراد واحتفالات الأعراس عبر مختلف ربوع الوطن يتبين أن هذه الأخيرة اعتمدت في تحضيرات الزفاف على الاحتفاليات المذكورة ولأنه من خلال ملاحظتنا لطريقة تحضيرات الأعراس فكلها تعتمد على ثلاث أيام

15 يوسف أوقاسم: باحث في التراث ورئيس جمعية السببيا سابقا.

أساسية التحضيرات الصغرى، ويطلق عليها الحنة الصغيرة، والتحضيرات الكبرى ويطلق عليها اسم الحنة الكبيرة، ويوم العرس.

إن هذا التشابه في التحضير للأعراس عند المجتمع الجزائري وتحضير احتفالية آيراد والسبب، لا يكون اعتباطيا، وإنما لعلاقة المجتمع الجزائري الأمازيغي بماضيه، ومحاولة الحفاظ عيه.

فالأيرادية الصغرى التي تقام صباح يوم العاشر، والتي يتم فيها رفع علم آيراد ثم الاقبال على طقس يثير انتباه الآخرين، هو ما يقابله برفع العلم في حفلات الأعراس ويكون ذلك في يوم الحنة الصغيرة، مع زغاريد النساء.

إن طقوس الاحتفالية تمثل بدرجة كبيرة في طريقة الاحتفال بباقي المناسبات، فهي فن رمزي باعتبارها وسيلة تعبيرية يحاول من خلالها أن يتقمص أدوار الحياة وإبراز الأفكار والنصائح.

إن هذا البحث في الاحتفالية عند الأمازيغ مكنا ولو بالقدر القليل مدى تجذر الاحتفالات في عمق التفكير الجزائري الأمازيغي.

